تام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصيت الله تعالى قال صلى الله عليه
وسلم مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك
اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان
يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل وقال صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مومنا ولا
ياكل طعامك الا تقي ولما ذكر تعالى اقوال الكفارة كر قول رسوله محمد صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى **وقال الرسول يارب** اي ايها المحسن الي بانواع الاحسان وعبر
باداة البعد هضما لنفسه ومبالغة في التضرع **ان قومي** اي قريشا الذين
لهم قوة ومنعة **اتخذوا هذا** القران اي المقتضي للاجتماع عليه والمبادرة اليه
مهجورا اي متروكا بعيدا لم يومنوا به ولم يتقبلوه واعرضوا عن استماعه
نبيه اشار بصيغة الافتعال الي انهم عالجوا انفسهم في تركه علاجا
كثيرا لما يرون من حسن نظمه وبذوقون من لذيذ معانيه ورايق اساليبه
ولطيف عجايبه وبديع غرايبه واكثر المفسرين على ان هذا القول وقع من النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ابو مسلم بل المراد انه يقوله في الاخرة كقوله تعالى
فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد الاية والاول اولي لان قوله تعالى **وكذلك**
اي كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك **جعلنا لكل نبي** من الانبيا قبلك رفعة
لدرجاتهم **عدوا من المجرمين** اي المشركين تسلية له صلى الله عليه وسلم كانه
تعالى يقول فاصبر كما صبروا ولا يكون ذلك الا اذا وقع القول منه **وكفى بربك**
اي المحسن اليك **هاديا** اي يهدي بك من قضى بسعادته **ونصيرا** اي ينصرك
على من حكم بشقاوته تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية على انه تعالى
خلق الخير والشر في قوله لكل نبي عدوا وايدل على ان تلك العداوة من جعل
الله تعالى وتلك العداوة كفر فان قيل قوله تعالى وقال الرسول يارب
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا كقول نوح عليه السلام رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا فكان المقصود من هذا انزال العذاب
وكذلك ما هاهنا فكيف يليق هذا بمن وصفه الله تعالى بالرحمة في قوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين اجيب بان نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم واما النبي
صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا لم يدع عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا فكان ذلك كالامر له بالصبر على ذلك وترك الدعا عليهم فافترقا
الشبهة الخامسة لمنكري النبوة ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى
وقال الذين كفروا اي غطوا اعداوة وحسدا ما تشهد عقولهم بصحته من ان
القران كلام الله لا عجازه لهم مفرقا فضلا عن كونه مجتمعا **لولا** اي هلا

نزل عليه

نزل عليه القران اي انزل لكنه بمعنى اخبر ليلا يناقض قولهم **جملة** واكدوا بقولهم
واحدة اي من اوله الي اخره كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور
على داوود عليهم السلام نتحقق انه من عند الله ويزول عنا ما نتوهمه من انه هو الذي
يرتبه قليلا قليلا وهذا الاعتراض في غاية السقوط لان الاعجاز لا يختلف
بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوايد منها ما اشار اليه تعالى بقوله تعالى
لنثبت اي انزلناه شيا فشيا على هذا الوجه المعظم الذي انكروه **كذلك**
اي نقوي **به فوادك** اي قلبك فتعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوي قلبه
على حفظ العلم شيا بعد شي جزا عقب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لتعيا
بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال داوود وموسى وعيسى حيث
كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قاريين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ
فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين سنة وايضا كان
ينزل على حسب الحوادث وجوابات السايلين ولان بعضه منسوخ وبعضه
ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قيل ذلك في كذلك يجب ان يكون
اشارة الي شي تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسر بكذلك
انزلناه مفرقا بان الاشارة الي الانزال مفرقا لا الي جملة والدليل على فساد
هذا الاعتراض ايضا انهم عجزوا ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة
واحدة من اقصر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حتى لاذوا بالنار
وفزعوا الي المجادلة ثم قالوا هلا انزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى
قدروا على جملته وقوله تعالى **ورتلناه ترتيلا** معطوف على الفعل الذي تعلق
به كذلك كانه قال تعالى كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله قال ابن عباس
بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسيل وتثبت وقال السدي فصلناه
تفصيلا وقال مجاهد بعضه في اثر بعض وقال الحسن نفرقه اية
بعد اية ووقفة عقب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراته وذلك
قوله تعالى ورتل القران ترتيلا اي اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عايشة
في صفة قرائته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وقيل هو ان
نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة
ولم نفرقه في مدة متقاربة ولما كان التقدير قد بطل ما اتوا به من هذا الاعتراض
عطف عليه **ولا ياتونك** يا اشرف الخلق اي المشركون **بمثل** اي باعتراض
في ابطال امرك يجيلون به العقول الضعفا يجتهدون في تنميقه وتحسينه
وتدقيقه حتى يصير عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى
الا جيناك في جوابه **بالحق** اي الذي لا محيد عنه فيزهق ما اتوا به

صبة

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)